اللص
ميلاد أسطورة
تأليف : عمرو مجدي

الأسس

مبادئ أسطورة

تأليف : عمرو مجدي

سباق الجري

- اسمعوني جيداً..

هتف بها الأستاذ رشيد، مدرس التربية الرياضية، حين كان سامي الجمل وفريد محمود يقفان على مضمار الجري المحيط بملعب المدرسة.. فتنبها له.

- أنتما – كما يعلم الجميع – أسرع طالبين في المدرسة.. وتعلمان أن مدرستنا ستشترك هذا العام في بطولة الجمهورية للجري مسافات طويلة.. ولو كان الأمر بيدي لأشركتكما كلاكما.. ولكن من كل مدرسة يتم اختيار طالب واحد فقط ليمثلها في هذا السباق.. لهذا أنتما هنا الآن.. على مضمار الجري.. ستتسابقان.. والفائز منكما سيمثل المدرسة في هذه البطولة.

نظر فريد إلى سامي وقال :

- من الأفضل لك أن تنسحب من الآن.. لأنني أنا من سيفوز في هذا السباق.

ابتسم سامي وهو يقول :

- حظاً طيباً إذاً.
- تمن الحظ لنفسك.. فسوف تحتاجه حتماً.

صاح الأستاذ رشيد :

- مستعدان؟.. انطلقا.

وبدأ السباق.. كان هذا السباق يتضمن أن يركض اللاعبان مسافة خمسة كيلومترات.. وهو ما يقدر بعشرين لفة على أرض المضمار.. وكنت أنا أسجل السباق كاملاً باستخدام كاميرا هاتفي المحمول.

في البداية لم يكن سامي وفريد يركضان بسرعة حتى لا ينهكا نفسيهما.. وانما كانا يركضان ركضاً بطيئاً نسبياً.. وأكملا اللفة الأولى ثم الثانية والثالثة.. إلى أن وصلا للفة الثامنة عشرة.. وهنا بدأ التعب يستبد بجسد فريد الذي تباطأت سرعته بشكل ملحوظ.. أما سامي – الذي كان متأخراً ببضع خطوات – بدا أنه لا يزال يتمتع بكامل لياقته البدنية.. فبدأت سرعته تزداد.. إلى أن لحق بمنافسه.. ثم تقدم بفارق خطوة أو خطوتين عليه.. كان واضحاً جداً أنه فائز لا محالة.

لكن فجأة.. وبدون أية مقدمات.. اختل توازن سامي.. وسقط على الأرض.. كان هذا قبل أن يتم اللفة الأخيرة ببضعة أمتار.. وهذا مكن فريد من إتمام اللفة الأخيرة والفوز بالسباق.

صفق الأستاذ رشيد تصفيقاً حاراً وهو يهتف :

- عمل رائع.. أحسنتما يا شباب.

ثم نظر إلى فريد.. وقال :

- فريد.. وافني بعد قليل إلى مكتبي.

فقام سامي من على الأرض.. وذهب – بمنتهى الروح الرياضية – إلى فريد وصافحه وهو يقول :

- سباق رائع يا فريد.. أحسنت.
- ألم أقل لك أنني سأفوز في هذا السباق؟
- لا بأس.. أعتقد أنك ستبلي بلاءاً حسناً في البطولة.. وسوف تفتخر بك المدرسة كثيراً.

وبكل الوقاحة والغرور هتف فريد :

- مت بغيظك يا سامي.. أنا الأفضل وعليك أن تعترف بهذا.

غضب سامي كثيراً من هذا التصرف الشنيع.. لكنه تمالك نفسه ولم يقحم نفسه في مشاكل مع فريد.

أتى سامي إليّ وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.. لقد كان غاضباً بحق.. ورأيت عم محمود صبح – فراش المدرسة – يصفق لفريد.. نعم نسيت أن أخبرك أن فريد هو ابن فراش المدرسة (عم محمود).

- أحسنت يا صديقي.. لقد كنت رائعاً.

قلتها لسامي.. فأجابني وهو يشعر بالمرارة :

- لقد كنت على وشك الفوز يا محمد.. لولا أنني تعثرت قبل نهاية السباق بأمتارٍ قليلةٍ.
- بالمناسبة.. ما الذي جعلك تتعثر يا صديقي؟
- لا ادري.. ربما زلت قدمي بسبب سرعتي الزائدة.. أو شئ من هذا القبيل.. على كلٍ.. لقد خسرت وانتهى الأمر.

- لا لم ينتهي الأمر بعد.
- ماذا تقول يا محمد؟!
- أنت لم تخسر بعد يا صديقي.
- كيف ذلك؟! كيف؟!
- انظر إلى هذا.. وأريته الفيديو الذي كنت قد سجلته بكاميرا هاتفي المحمول.. تحديداً اللقطة التي قد تعثر فيها.
- ما هذا؟!

أعاد تشغيل نفس اللقطة من جديد.. ثم قال في ذهول :

- يابن الـ(.....) يا فريد.. أنت من فعلت ذلك بي؟!

سألته :

- وماذا ستفعل الآن يا سامي؟
- ما يجب أن يُفعل يا صديقي.. ما يجب أن يُفعل.

قالها وانطلق يعدو مسرعاً نحو مكتب الأستاذ رشيد.. بالطبع لحقت به.. وهناك رأينا فريد وقد أنهى حديثه مع الأستاذ رشيد، وكان على وشك الانصراف.

- ما الأمر يا سامي؟

قالها الأستاذ رشيد حين لاحظ سامي الذي دخل المكتب مسرعاً.

- أريد أن أريك أمراً هاماً جداً يا أستاذ رشيد.
- اذهب أنت الآن يا فريد واستعد.. بقيت أيام قليلة على البطولة.

ثم نظر إلى سامي – وقد همّ فريد بالخروج – وقال :

- ما هو الأمر الجلل الذي تريد أن ترينيه إياه يا بني؟

كان الأستاذ رشيد شخصاً ودوداً جداً.. و لهذا كان محبوباً من الجميع.

قال سامي :

- انتظر قليلاً يا فريد.. الأمر يتعلق بك أنت أيضاً.

تسمر فريد في مكانه.. ولوى شفتيه كأنما لم يعجبه الأمر.. في حين أعطى سامي الهاتف للأستاذ رشيد :

- انظر لهذا الفيديو جيداً يا أستاذ.

وعرض عليه اللقطة التي تعثر فيها.. اتسعت عينا الأستاذ رشيد من الدهشة للحظة.. ثم تجهم وجهه فجأة وهو ينظر إلى فريد ويصيح :

- كنت أنت الذي عرقلته! يالك مِن.... ماذا يمكنني أن أقول.. حتى الكلمات لن توفيك ما تستحقه.

ثم نظر نحوي وقال :

- اذهب يا محمد وناد عم محمود.. قل له الأستاذ رشيد يريدك في أمرٍ مهم.

وبالفعل ذهبت.. وأتيت ومعي عم محمود.. وحين أتى قال وهو يتوقع أن الأستاذ رشيد سيخبره بأنباءٍ سارةٍ :

- ما الأمر يا أستاذ رشيد؟
- تقدم يا عم محمود.. انظر إلى هذا.

قالها الأستاذ رشيد وهو يعرض الفيديو على عم محمود .. تحديداً اللقطة التي يظهر فيها فريد وهو يعرقل زميله سامي.

قال عم محمود :

- ما هذا؟!
- ما رأيك؟

شحب وجه عم محمود.. والغريب في الأمر أنه لم يعنف ابنه.. ولم يتخذ ضده أي إجراء عقابي جزاءاً على ما فعل.. لكن بدلاً من ذلك.. بدأ يحاول أن يضع المبررات لما فعله فريد.. وكان هذا تصرفاً غريباً جداً.. جعل الأستاذ رشيد يغضب بشدة.

قال عم محمود :

- أستاذ رشيد.. إن فريد ولدٌ مهذبٌ.. وأكيد لم يقصد أن يعرقل زميله.
- لم يقصد؟!

صاح بها أستاذ رشيد.. وأردف:

- تقول لم يقصد؟! ألم تشاهد ما حدث جيداً؟.. حسناً.. انظر من جديد.

وأراه اللقطة مرة أخرى.

- ها.. ما رأيك؟.. أما زلت ترى أنه لم يقصد؟!

تفصد العرق من جبين عم محمود.. واحمر وجهه خجلاً.. في حين تابع الأستاذ رشيد كلامه – في لهجة ظهر فيها كأنه قاضٍ ينطق بالحكم على المتهم – قائلاً :

- لقد وضع فريد قدمه أمام زميله عامداً متعمداً.. ولهذا فإنني أرى أنه من الصواب أن استبعده تماماً.. وأعلن من الآن.. أن من سيمثل المدرسة في هذه البطولة هو الطالب سامي أحمد الجمل.
- لا.. أرجوك.. إن ابني يحلم بأن يشترك في هذه البطولة منذ أن أعلنتم عنها.. إنك بذلك تدمره.
- عيب عليك يا رجل.. بعد كل ما فعله اليوم مازلت تدافع عنه، بدلاً من أن تؤدبه وتجعله يعتذر من زميله؟! حقاً إنك شخص غريب!

عندما سمع فريد أنه قد استُبعد من البطولة، دفن وجهه بين كفيه وأخذ يبكي بكاءاً حاراً.. ورآه الأستاذ رشيد فقال :

- تبكي الآن؟! ألم تفكر ولو للحظة واحدة أن زميلك قد يصاب بأذى جراء عرقلتك له؟ ربما أصيب بجروح بالغة.. وربما كُسرت ساقه.. ومع ذلك.. لم تعبأ بكل هذا.. وإنما فكرت في الفوز.. حتى ولو كان فوزاً زائفاً.. حتى ولو دفع الآخرون الثمن.
- أرجوك يا أستاذ رشيد.. أعطه فرصةً أخرى.. أرجوك.. أتوسل إليك.

كان هذا المنظر مؤلماً جداً.. مما جعل سامي يشعر بالشفقة على عم محمود وابنه فريد.. ودفعته مشاعره النبيلة إلى أن يقول :

- لا بأس يا أستاذ رشيد.. يمكنك – إن أردت – أن تعيد السباق.
- اسمع يا سامي.. أنا أفهم مشاعرك النبيلة.. ولكن.. يجب أن يعاقب هذا الفتى على فعلته.. حتى لا يعود لمثلها مرةً أخرى.
- أقسم أنني لن أكرر ذلك مرةً أخرى أبداً.

قالها فريد وهو يبكي.. فقال سامي محدثاً الأستاذ رشيد :

- أظنه تعلم الدرس جيداً.. ولن يعود لمثلها أبداً.

تنهد الأستاذ رشيد.. وقال لسامي:

- كما تحب يا سامي.

ثم التفت إلى فريد وهتف :

- سأعيد المباراة بينكما من جديد.

فقال عم محمود :

- شكراً لك.. شكراً جزيلاً لك.
- ولكن هناك شرط.
- شرط.. ماذا تقصد يا أستاذ رشيد؟
- إن فاز سامي فهو من سيمثل المدرسة في هذه المسابقة.
- حسناً.
- أما إن فاز فريد.. فسوف أعطى سامي فرصةً أخرى.
- فرصة أخرى؟ لكن لماذا؟
- لأنه أعطاك فرصةً أخرى يا فريد.. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.. أليس كذلك يا فريد؟

احمر وجه فريد خجلاً.. وأحنى وجهه نحو الأرض.. بينما قال الأستاذ رشيد :

- هذا هو العرض.. اقبله أو ارفضه.

على الفور قال عم محمود :

- قبلناه بالطبع يا أستاذ رشيد.. شكراً جزيلاً .

قال الأستاذ رشيد :

- استعدا جيداً.. سيكون السباق بعد يومين.

وأثناء انصراف عم محمود وفريد.. قال عم محمود لسامي :

- شكراً جزيلاً لك يا بني.

***

في اليوم التالي

أتينا إلى المدرسة.. وبالمناسبة، نحن في الصف الثالث الثانوي.. وفصلنا هو الفصل الرابع، في الطابق الثالث.. أي أنه آخر فصل في آخر طابق.

دخلنا الفصل.. وجلسنا على مقعد واحد – يسع طالبين – متجاورين.. وهو المقعد قبل الأخير في الفصل.. وفي الأخير، يجلس فريد محمود – الغني عن التعريف – وبجواره صديقه المقرب وجاره العزيز ماجد سلامة.. أما في المقعد الذي أمامنا.. يجلس زميلنا خالد صلاح.. ولا أحد يجلس بجواره.. أو بمعنى أصح.. لم يعد أحد يجلس بجواره منذ ما حدث أول أمس.

أتريد أن تعرف ماذا حدث أول أمس؟.. سأخبرك عن ذلك.. ولكن ليس الآن.. ربما بعد قليل...

مضت الحصة الأولى بشكل عادي جداً.. وكذلك الثانية.. لكن في الحصة الثالثة.. حدث بعض التغيير.. حيث بدأ ماجد يزعج سامي ويحاول أن يُغضبه.. لكن سامي بذكائه ولباقته استطاع أن يجعل ماجد غاضباً.. لدرجة أن ماجد صاح فيه :

- إلزم حدودك يا سامي.

وصاح الأستاذ شوكت :

- ما الذي يحدث هنا؟

الأستاذ شوكت هو مدرس الأحياء.. وهذه كانت حصته.. وحدث هذا الموقف بينما كان يشرح لنا عن البلهارسيا.

- لقد سبني سامي يا أستاذ.. وسب والدي أيضاً.

صاح سامي في ذهول :

- أقسم أن هذا لم يحدث.

وقلت أنا :

- سامي لم يذكر والد ماجد على شفتيه بخير أو بشر.

فقال الأستاذ شوكت :

- أنا أعلم كيف أن أخلاق سامي أرقى من ذلك بكثير.. وربما أسأت فهم أو سماع ما يقوله سامي.. على كل حال.. لا تتكلمان من جديد حتى لا أرسلكما للمدير ليعاقبكما أشد عقاب.

جلس سامي وماجد.. ومرت بضع دقائق، كنا خلالها أنا وسامي نحاول فهم ما يقوله الأستاذ شوكت، قبل أن يصيح ماجد :

- انظر ماذا فعلت؟

نظرنا جميعاً خلفنا.. فوجدنا ماجد واقفاً وجميع ملابسه مبتلة بالماء.. ضحك بعض الطلاب.. بينما أكمل :

- هل أنت مجنون؟!

فقال أستاذ شوكت وقد بدأ يشعر بالغضب :

- ماذا حدث هذه المرة يا ماجد؟
- لقد سكب سامي زجاجة الماء على ملابسي.

تخيل كم الدهشة التي اعترتنا أنا وسامي.. لقد كان يتهم سامي زوراً وبهتاناً..فقال سامي:

- أقسم أنني لم أفعل ذلك يا أستاذ.

وتدخلت في الحديث :

- نعم يا أستاذ شوكت.. سامي لم يفعل ذلك.. لقد كنا نتابع شرحك باهتمام.

فأكمل سامي كلامي قائلاً :

- حتى أنك كنت تقول (كذا وكذا).. أليس كذلك يا أستاذ؟

وفجأة صاح فريد :

- إنهما يكذبان يا أستاذ شوكت.

نظرنا إليه – سامي وأنا – غير مصدقين ما تسمعه أذنانا.. هل هذا جزاء أن أعطاه سامي فرصة أخرى؟! تابع فريد في تبجح :

- لقد رأيت سامي وهو يسكب الماء على ملابس ماجد.. حتى إنه يخبئ زجاجة الماء أسفل مقعده.. وضع سامي يده أسفل المقعد.. فوجد زجاجة من الماء شبه فارغة.. فصاح قائلاً :

- أقسم بالله – العلي العظيم – أنني لم أفعل ذلك.

صاح الأستاذ شوكت وقد فقد أعصابه :

- هذا يكفي.. أنتما كلاكما.. إلى مكتب المدير حالاً.

لم تكد تمضي عشرة دقائق حتى عاد سامي وماجد من مكتب المدير.. كان سامي طبيعياً.. وكان ماجد مبتسماً وسعيداً.. وهو أمر غريب حقاً.. فالمدير يعاقب من ينزل إليه عقاباً شديداً.

***

في استراحة الغداء.. ذهبت أنا وسامي إلى الكافيتريا الملحقة بالمدرسة.. ولاحظت أن سامي يحمل كتاباً يبدو من غلافه أنه جديد.. قلت له :

- ما هذا؟ رواية بوليسية جديدة؟
- إنها لأجاثا كريستي.. هل تصدق.. لقد اشتريتها بعشر جنيهات فقط!

وكان سامي بالفعل مغرماً بالروايات والقصص البوليسية.. ويدخر مصروفه بالكامل كي يشتريها.. حتى أنه يملك في بيته مكتبةٌ كبيرة مليئة بهذا النوع من القصص.. قلت له مستنكراً :

- لا أعلم لماذا تُصر على أن تهدر أموالك في شراء هذه الأشياء التافهة!
- إنها ليست تافهةً كما تظن يا محمد.. فأنا أجد فيها المتعة والإثارة.. كما أنها ستفيدني جداً حين أكون محققاً خاصاً.

في البداية ظننت أنه يمزح.. فضحكت لما قال.. وقلت له :

- مزحةٌ جيدة.
- علمت أنك ستقول هذا.
- مهلاً.. مهلاً.. هل أنت جاد فيما تقول؟!
- ولما لا أكون!

حينها ضربت كفاً بكفٍ وأن أقول :

- لا حـول ولا قـوة إلا بـالله – العلـي العظـيم – لقـد أفقدتك هذه الروايات عقلك بالفعل.
- اسمعني قليلاً يا محمد.. أنـا أريـد أن أكـون محققـاً خاصـاً.. هـذا هـو حُلمـي.. وسـأبذل قصـار جهـدي لتحقيقـه.. وأرجـو منـك ألا تحـاول أن تثنينـي عمـا أريد.
- علـى رسـلك قلـيلاً يـا صـديقي.. أنـا لـم أقصـد أن أغضبك.. وعلى كل حال.. هذه حياتك أنـت.. وأنـت حرٌ فيما تفعله فيها.

وأردت تغييـر دفـة الحـديث.. فرأيـت ماجـد وفريـد يجلسـان على طاولةٍ قريبةٍ منا.. فقلت له :

- انظر من هنا.
- لا أعلم ما الذي أصاب هذين الأحمقين اليوم.
- آه صحيح.. نسيت أن أسألك.. ما الذي فعلتـه أنـت وماجد في مكتب المدير؟
- لن تصدق ما حدث.. ما أن نزلنا إلى مكتب المدير.. وسألنا المدير عن الذي دفعنا للقـدوم إليـه.. حتـى أسرع ماجد قائلاً أن زجاجة الماء قد سُـكبت علـى

ثيابـه.. ولكـن دون قصـدٍ منـي.. ولمـا رأى الأسـتاذ شوكت هذا.. قام بإرسالنا إلى هناك..

- الكاذب.. هل قال هذا حقاً؟!

فقال سامي :

- ليس هذا فحسب.. لقد قال أنـه يسـامحني علـى ذلك.. ويرجو من المدير ألا يعاقبني.

ثم صمت سامي لبرهة.. قبل أن يتابع :

- ثم سمعنا فجأةً صوت تحطم زجـاج قـادمٌ مـن أمـام مكتب المدير.. فأسرع – المدير – ليرى ماذا حدث.. وطلب منا ألا نتحرك من أماكننـا حتـى يعـود.. لكـن ماجد لم يطع الأوامر.. وخرج خلف المدير ليـرى هـو الآخر ماذا حدث؟ .. ولم يلبث المدير أن عاد وخلفـه ماجد.
عنف المدير ماجد قليلاً لأنه لم يطع أمره. ثم طلـب منا الانصراف إلى فصولنا.
- بالفعل هذا أمرٌ غريب.
- لكن ما يحز في نفسي حقاً هو الشـهادة الباطلـة التـي شـهدها فريـد علـيّ.. أعنـي.. لمـاذا يشـهد عليّ بالزور بعـد كـل مـا فعلتـه مـن أجلـه؟! ليتنـي أستطيع أن أعود في كلمتـي.. لكـن أسـتاذ رشـيد لن يسمح لي بذلك بالطبع.

في هذا الوقت دلف زميلنا خالد صلاح – الذي يجلـس فـي المقعد الموجود أمامنا في الفصل – إلى الكافيتريـا.. ونظـر إليّ باحتقار شديد جداً.. ثم خرج من الكافيتريا كما جاء.

لاحظ سامي ما حدث فقال لي :

- يبدو أن خالد غاضبٌ منك جداً.
- ذلك بسبب ما حدث أول أمس.
- وماذا حدث أول أمس؟ لقد كنت غائباً عن المدرسة يومها.

بدأت أقص على خالد ما حدث ذلك اليوم.. فقلت له :

- لقد سرق خالد ساعتي.. وهي باهظة الثمن كما تعلم.. وأصرّ على أنها ساعته هو.. حتى بعد أن أريته العلامة التي كنت أميزها بها.. قال أن هذه العلامة لا تثبت شئ.. وأن الساعة ملكه بالفعل.
- في أي حصةٍ كان هذا بالضبط؟

سألني سامي.. فأجبته :

- كان ذلك في حصة الأستاذ فتحي – مدرس الرياضيات – وقد تدخل الأستاذ فتحي ليحكم بيننا.. وبعد أن أريته العلامة الموجودة في ساعتي.. حكم أن الساعة ملكي.
- أهذا هو سبب حقده عليك؟
- هذا ليس كل شئ.. فبعد أن اتضح للجميع أن هذه الساعة هي ساعتي.. نعت بعضهم خالد بأنه لص.. وهذا أغضب خالد كثيراً.. وأنت تعلم أنه مرهف الإحساس جداً.. وأظن أنه جُرح جرحاً بالغاً حين وصفوه بذلك.
- ربما يكون هناك سوء فهم.. ربما هو ليس لصاً.
- أنا متأكد أنه سرق الساعة عن عمد.
- لا تكن سئ الظن هكذا.

- أنـت لـم تـر كيـف عـاملني يومهـا.. لقـد أهـانني.. وسب والدي.. انه حقاً شخص سئ.. سئٌ جداً.
- مـا دمـت تـرى ذلـك.. فعليـك أن تحـاذر منـه يـا صديقي.. ربما يكيد لك دون أن تدري.
- ليريني كيف يمكن أن يؤذيني!

انتهت فترة الاسـتراحة.. فـنهض فريـد وماجـد.. وكنـا ننظـر إليهما – ولا أظن أنهما يريانا – وشاهدنا فريد وهو يعطـي أحمـد – عامـل الكافيتريـا – ورقـةً نقديـة فئـة مائـة جنيـه كاملةً.. أخذ منها أحمـد ثمـن المشـروبات التـي طلباهـا – فريد وماجد.. وأعطاهما الباقي ثم انصرفا.

وانصرفنا نحن أيضاً بعدهما تماماً.

***

اتهام

أتت الحصة الخامسة.. وكان مستر خميس الشافعي – مدرس اللغة الإنجليزية – يشرح قواعد اللغة بشغفٍ شديد.. وكانت الحصة قد شارفت على الانتهاء.. إذ فجأة وبدون أية مقدمات.. اندفع الأستاذ أحمد جمعة (مدير المدرسة) إلى الفصل.. وخلفه الأستاذ مالك أيوب (أخصائي شئون الطلاب في المدرسة)، وعم محمود صبح(فراش المدرسة،ووالد زميلنا فريد).

كان المدير رجلٌ ضخم الجثة.. له شارب أبض كث.. ووجه مستدير مكتنز.. له سور من الشعر الأبيض الخفيف، محيط برأسه الأصلع الأملس من الخلف.. نظر إلينا – وكانت علامات الاستياء باديةً في ملامحه – وقال أن محفظته سرقت من درج مكتبه.. وأنه واثقٌ من أن اللص هو أحد الطلاب.. وأخبرنا أيضاً أنه قام بتفتيش جميع فصول المدرسة ولم يتبقى.. إلا هذا الفصل.

ثم صمت برهةً قبل أن يعاود القول بحزمٍ شديد :

- الشخص الذي أخذ المحفظة يعدها حالاً.

ساد صمتٌ مطبقٌ لبرهة.. فعاد المدير قائلاً :

- أنا مستعدٌ لمسامحته إن هو أعادها حالاً.

مجدداً لم ينبس أحدٌ ببنت شفه.. فقال المدير :

- حسناً إذاً.

ثم أشار إلى عم محمود وطلب منه تفتيش الجميع تفتيشاً دقيقاً.. بدأ عم محمود بتفتيش ثياب كل طالب وإفراغ محتويات حقائب كل واحدٍ منهم أمامه.

وأخيراً أتى دورنا – أنا وسامي – في التفتيش.. فبدأ بتفتيش ثياب سامي أولاً.. وحين حاول تفتيش حقيبته.. أوقفه سامي وقام بإفراغ محتويات الحقيبة بنفسه.. وهو يقول :

- هل تتوقع حقاً أن أكون أنا الفاعل يا عم محمود؟

كانت الإجابة الوحيدة التي أتت من عم محمود لسامي هي نظرةٌ حادةٌ جداً.. بعدها قام بتفتيش ثيابي أولاً.. ثم حين لم يجد بها شئ.. أخذ حقيبتي ووضع يده بداخلها مفتشاً عن محفظة المدير.. ثم لم يلبث أن اتسعت عيناه من الدهشة وهو يخرج يده من حقيبتي ممسكاً بالمحفظة.

شهق معظم الطلاب.. بينما جلست مكاني مبهوتاً من هول المفاجأة.. بسرعة البرق كان الأستاذ أحمد جمعة منتصباً أمام مقعدي.. رماني بنظرة صارمة ثاقبة (ولو كانت النظرات تقتل لكنت الآن بلا أدنى شك في عداد الأموات)، ثم سألني :

- ما هو اسمك يا فتى؟

كان السؤال بنبرة قاسية جداً.. كنت حينها لم أفق من حالة الذهول تلك.. وخرج الكلام من بين شفتيّ متهدجاً :

- حضـ.. حضرة.. حضرة المدير.. أنا لم...
- أنا أسألك ما هو اسمك أيها الوغد الصغير؟

خفـق قلبـي بقـوة.. وجـرت الـدموع علـى وجنتـي أنهـاراً.. وارتجف فكي السفلي بشدة.. وجف حلقي تماماً.

كرر المدير السؤال وهو يصيح :

- ما هو اسمك؟

أخيراً استطعت النطق بصوت منخفض جداً :

- محمد راغب.
- ماذا؟! ارفع صوتك.. أنا لا أسمعك.
- اسمي.. محمد راغب.

وتدخل الأستاذ خميس بعد أن شعر بالرثاء لحالي فقال :

- حضرة المدير.. بالتأكيد هناك خطأ ما.. محمد طالب مهذب.. ولا أظنه يقدم على هذه الفعلة أبداً.
- ماذا تقول يا أستاذ خميس؟! لقد أمسـكناه بـالجرم المشـهود.. إنه لص.

خرج الكلام من بين شـدقيّ مختلطاً بالبكاء :

- أنا لست لصاً.

تدخل سـامي قائلاً بمنتهى الثقة :

- مستحيل أن يفعلها محمد.. إنه صـديقي المقـرب.. وأنا أدرى الناس بسلوكه.

رمقه المدير بنظرة حادة.. فبادله سامي نفس النظرة في تحدٍ واضح.. وضغط على كل حرف وهو ينطقه :

- إنه لم يفعلها.

جدير بالذكر أن سامي حين يؤمن بقضيةٍ ما، فهو مستعدٌ للموت دفاعاً عن هذه القضية.. ومن أسلوب كلامه ونبرة صوته.. كان واضحاً للعيان أن سامي مؤمنٌ تماماً ببراءتي.

قال المدير بلهجة صارمة مخاطباً سامي :

- أنا موقنٌ تماماً أن انفعالك هذا دفاعاً عن صديقك.. لكن هذا ليس سبباً لتخاطبني بهذه اللهجة.

اعتذر سامي وأبدا تأسفه لانفعاله.. لكنه أوضح أن ذلك كان لأنه يعلم أنني أترفع عن هذه الأعمال المشينة لأي سبب كان.

- كيف تقول ذلك وقد رأخرجنا الحافظة من حقيبته؟! إنه لص.. هل تفهم ذلك؟! لص.

من جديد عادت تقاسيم وجه سامي تنم عن غضب واضح.. ثم حاول إخفاء غضبه وتصنع الهدوء وهو يقول :

- اسمعني يا حضرة المدير...
- ولا كلمة واحدة.. لقد كنت صبوراً أكثر من اللازم مع زميلك.

وقفت في مكاني وقلت مستجدياً المدير :

- أستاذ أحمد.. أرجوك اسمعني.. أنا....

- اخرس.. لقد كنت مستعداً أن أسامحك إن أعدتها إليّ بنفسك.. لكنك لم تعدها رغم ذلك.
- لأنني لم أسرقها.. أقسم بالله العظيم أنا لم أسرقها.

بلهجة ساخرة قال :

- صحيح.. صحيح.. أنت لم تسرقها.. لقد طارت بنفسها إلى أن استقرت في حقيبتك!
- ولكن...

بتر عبارتي وهو ينادي بأعلى صوته على عم محمود.

فقال والد فريد :

- أمرك حضرة الناظر.
- أحضر هذا الفتى إلى مكتبي.. حالاً.

قالها المدير بطريقة بثت الرعب في أوصالي.. ولم أعد أقوى على الحراك.. فجلست في مكاني.. حتى إذا ما تقدم عم محمود وأمسكني من ذراعي بقوة.. شعرت حينها أنني كدت أتبول في ثيابي.. ماذا يحدث لي؟! وكيف يمكنني الخروج من هذا المأزق؟ كيف؟ كيف؟

في هذا الوقت.. كان عقلي عاجزاً عن التفكير.. وعم محمود كان يجذبني من ذراعي بقوةٍ وأنا لا أستجيب.. لم أكن أقوى على الاستجابة أصلاً.. ويبدو أن المدير قد لاحظ حالتي تلك.. ورغم ذلك لم تأخذه بي رأفة ولا شفقه.. بل على العكس تماماً هتف قائلاً :

- خذه إلى مكتبي حتى لو اضطررت أن تجره إلى هناك جراً.

خفق قلبي بسرعة حتى كاد يخرج من صدري.. لوهلة عجزت عن التنفس.. وفجأةً جذب سامي ذراعي من يد عم محمود هاتفاً :

- ابتعد عنه.. سوف نذهب إلى مكتبك وحدنا.

أنا ممتنٌ جداً لأن سامي قرر الذهاب معي إلى مكتب المدير.. وإلا لما كنت أعلم كيف كنت سأتصرف في هذا الموقف وحدي.

همّ المدير بقول شيءٍ ما.. لكن أستاذ مالك (أخصائي شئون الطلاب) وضع يده على كتف المدير وقال له :

- دع صديقه يوصله بنفسه إلى مكتبك.. فذلك أكرم له.

تنهد المدير ثم قال في استسلام :

- حسناً.. لا يهم.
- انهض معي يا صديقي.

قالها سامي بمنتهى الرقة وهو يساعدني على النهوض.. وكانت قدماي ترتجفان بشدة ولا تكادا تقويان على حملي.. لكني تحاملت على نفسي واستطعت النهوض أخيراً مستنداً عليه.. وذهبت معه في خطوات غير متسارعة.. خرجنا من الفصل إلى الدهليز الطويل.. ومنه إلى السلم حيث نزلنا إلى الطابق الأرضي حيث يوجد مكتب المدير.

قال المدير بهدوء :

- علمت من الأستاذ خميس أنك طالب مجتهد.. ومهذب أيضاً.. ولا أعلم ما الذي دفعك لارتكاب مثل هذا الفعل الأخطل.

ثم اكتسبت نبرته حدةً وهو يكمل :

- لكن هذا لن يشفع لك عندي.. وستنال أشد أنواع العقاب.. ثم تفصل من المدرسة.

ثم نظر إلى سامي وقال :

- أما أنت.. فدورك قادم في العقاب.. فلا تقلق.

وفتح درج مكتبه.. وأخرج منه ورقةً وقلماً.. وهمّ بكتابة شئ ما – أظنه كان سيكتب جواب فصلي من المدرسة – لكن...

- إذا سمحت لي يا سيدي.

لم يكن القائل أنا أو سامي هذه المرة.. وإنما كان هذا صوت الأستاذ مالك أيوب.

- أريد أن أتحدث معهما قليلاً.

وبدون أية مناقشة.. وللمرة الثانية لهذا اليوم.. قال المدير في استسلام :

- حسناً.. لا يهم.. خذهما إلى مكتبك وافعل ما تراه مناسباً.. على أن تعاودني بهما في أسرع وقت.
- حسناً يا سيدي.. وشكراً لك.

وأشار إلينا أن نتبعه.. وقبيل خروجه من مكتب المدير.. نادى عليه المدير وقال :

- أنا لا أرفض لك أي طلب.. لأنني جربت رجاحة عقلك في مواقف عديدة.. وكل مرة كنت تبهرني بقوة بديهتك وحسن تصرفك.. ولا أتوقع منك أن تخذلني اليوم.
- لا تقلق يا سيدي.. لن أخذلك أبداً.. و.. بالمناسبة.. شكراً جزيلاً على هذا الإطراء.

***

تبعنا الأستاذ مالك إلى مكتبه.. وبالفعل هو إنسان جدير بالثناء.. فهو قمة في الذكاء.. له شعر أسود كثيف ممشط للخلف بطريقة رائعة.. له أنف معقوف وعينان بنيتان ووجه حليق.. وربما أهم ما يتصف به – بالإضافة إلى ذكائه – هو حلمه ووداعته الزائدة.. ولهذا هو الأكثر قَبولاً واحتراماً في المدرسة من قِبل المدرسين والتلاميذ.

ما أن دلفنا إلى مكتب الأستاذ مالك حتى أغلق هذا الأخير الباب خلفنا ثم أشار إلينا بالجلوس.. فجلسنا على الكرسيين المقابلين لبعضهما أمام المكتب.. بينما جلس هو في الكرسي الرئيس خلف المكتب.. وبدأت الكلام مسرعاً :

- أستاذ مالك أنا لم...
- أنا أعلم ذلك.

تبادلت مع سامي نظرة متفاجئة.. وقلنا في نفس واحد :

- تعلم ذلك؟!
- نعم.. أعلم أنك لم تسرق محفظة نقود المدير يا محمد.
- ولكن كيف؟!
- أنت تعلم يا محمد أنني أعرف والدك معرفةً شخصية.

أومأت برأسي إيجاباً.

- وأعلم أيضاً أنه ميسور الحال.. وهو – كما قال لي ذات مرة – لا يمنعك أي شئ تطلبه منه.

وللمرة الثانية أومأت برأسي إيجاباً.

- كما أنك كما أعلم عنك مهذبٌ وخلوق.. وتترفع عن فعل مثل هذه الفعلة الشنيعة.. ثم إني أريد أن أسألك سؤال.
- بالطبع.. تفضل.
- هل ذهبت إلى مكتب المدير اليوم قبل هذه الواقعة؟
- قطعاً لا.
- إذاً كيف تسرق محفظتة من درج مكتبه وأنت لم تدخل إلى غرفة المكتب أساساً؟!

تهللت أساريري وأنا أهتف :

- أحسنت حقاً يا أستاذ مالك.. هيا بنا نخبر المدير بكل هذا الذي اكتشفته الآن.
- ولكني لم أكتشفه الآن.. لقد علمت أنك برئ منذ البداية.

فقال سامي :

- ولماذا لم تقل هذا حينها؟!
- المدير كان منفعلاً جداً حينها.. ولم يكن ليقتنع أبداً ببراءة صديقك محمد.. خاصةً وأنه رأى المحفظة تخرج من حقيبته.
- المهم الآن أنكما تعلمان أني برئ.

كنت لا أكاد التقط أنفاسي من فرط فرحتي لأني وجدت من يصدق حقاً أنني برئ.. وأنني قد كيد لي.

- اهدأ قليلاً يا محمد.. دعنا نفكر بروية لنعرف من هو اللص الحقيقي؟

قلت وقد سكنت نفسي :

- ولكن هل يمكننا أن نعرف هوية هذا اللص؟
- بالتأكيد يا بني.
- كيف؟
- بالإجابة على بعض الأسئلة.

قال سامي مبتسماً ابتسامة إعجاب :

- بداية جيدة.

لم أفهم في البداية.. ولم يهتم الأستاذ مالك بما قال وإنما نظر نحوي وسألني :

- محمد.. هل هناك من يكرهك في هذه المدرسة؟

على الفور قلت :

- لا.. لا أحد يكرهني.
- فكـر قلـيلاً.. ألـم تحـدث مشـاحنات.. ألـم تحـدث مشادات كلامية مؤخراً بينك وبين أحد زملائك؟
- بالطبع لا.

ثم تذكرت فجأة فتابعت :

- باستثناء هذه المرة!

اعتدل الأستاذ مالك في جلسته وقال :

- أي مرة تلك؟!
- تلك المرة التي سُرقت فيها سـاعتي.. ولكـن هـذا شئ غير مهـم علـى مـا أعتقـد.. فقـد اسـتعدتها وانتهى الأمر.

تمالك الأستاذ نفسه بأعجوبة شديدة.. وقال :

- كأنني سـمعتك تقـول ان هـذه المعلومـات ليسـت مهمةً؟! اروي لي يا محمد ما حدث بالتفصيل؟

بدأت أحكي له ما حدث بيني وبـين خالـد.. ولمـا انتهيـت.. اسـتغرق الأسـتاذ مالـك فـي تفكيـر عميـق.. ودام هـذا للحظـات سـاد خلالهـن صـمتٌ مطبـق.. ثـم كسـر حـاجز الصمت هذا بقوله :

- ربما يكون خالد هـذا هـو صـاحب المصـلحة الوحيـد في أن تظهر أنت بمظهر السارق.
- أتظن ذلك؟
- بكل تأكيد.. ربما يريد أن ينتقم منك.. وربما يريـد أن يجعلك تبدو لصاً أمام الجميع.. لكـي يثبـت للجميـع

أن تلك الساعة الموجودة في يدك هي ساعته هو.. وأنك أنت اللص وليس هو.

- أهذا معقول؟!

فقال سامي :

- علينا أن نكون حذرين هذه المرة في اتهامنا له.. لأنه قد لا يكون هو الفاعل من الأساس.
- ومن لديه مصلحة في أن يظهرني بمظهر اللصوص غيره؟

قال الأستاذ مالك :

- هل خالد هذا يجلس في المقعد الموجود أمام مقعدكما في الفصل.

تفاجأنا قليلاً وقلنا معاً :

- نعم؟
- وهل لديه شعر أسود وعينان خضراوان ووجه قمحي اللون.

قال سامي :

- مؤكد أنك تعرفه معرفةً شخصية.
- على الإطلاق.

فقلت :

- كيف إذن عرفت كل هذا عنه؟

فأجابني قائلاً :

- كما قلت لك.. علمت من البداية أنك لست الفاعل.. ولهذا تفرّست في وجوه كل الحضور.. فأنا أعلم أن المجرم مهما حاول أن يخفي توتره ويُظهر الثبات.. فإن تعبيرات وجهه المضطربة دائماً ما تفضحه.. وحين نظرت إلى وجوه كل الطلاب الموجودين.. لاحظت أن وجوههم جميعاً – تقريبا – قد ارتسمت عليها أمارات الدهشة والتعجب.. عدا شخصٌ واحد وهو الفتي الذي يجلس في المقعد الموجود أمامكما والذي قلتما أن اسمه خالد.
- وماذا لاحظت عليه؟

كان سامي هو من سأل هذا السؤال.. فأجابه :

- كان تعابير وجه هذا الفتي توحي أنه فعل فعلةً يخاف أن تُكشف.. وكان أيضاً ينزوي في مكانه ويغوص في مقعده شيئاً فشيئاً كأنما يتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه.. لقد كانت حالته هذه تدعو إلى الريبة من البداية.. أما بعد الذي ذكرته على مسامعي الآن يا محمد.. فأنا أكاد أجزم أنه الفاعل.
- أليس من المحتمل ألا يكون هو؟

سأل سامي.. فأجاب الأستاذ مالك :

- ربما.

فقلت له في عجلة :

- وكيف نكتشف إذا كان هو الفاعل أم لا؟

لبضعة لحظات.. أخذ الأستاذ مالك يفكر في إجابة لهذا السؤال.. ثم لم يلبث أن اتسعت عيناه.. وضرب براحة يده على جبهته وهو يقول :

- كيف لم أفكر في ذلك من قبل؟!

قلت له :

- ما الأمر؟

فقال :

- كانت الإجابة أمامنا طوال الوقت!

وقال سامي :

- إذن فقد وجدت إجابةً لهذا السؤال.

فأجابنا الأستاذ مالك :

- بالتأكيد.. هناك أمرٌ واحدٌ فقط.. لو استطعنا إثباته لأكدنا براءة محمد.. وإدانة خالد.
- وما هو؟
- ستعلمان حالاً.. أما الآن فاسبقاني إلى مكتب المدير.. وسأوافيكم خلال خمس دقائق.

قالها وهو يخرج من غرفة المكتب.. ويسير بخطوات متسارعة.. أما أنا وسامي.. فقد تبادلنا نظرةً حائرة.. وقلت لهذا الأخير :

- هل تفهم شيئاً؟!

- ليس بعد يا محمد.. لكني أعتقد أن شيئاً سيئاً على وشك الحدوث.

لم أدر ماذا يقصد؟ ولم يكن أمامنا سوى أن نطيع الأمر.. وبالفعل ذهبنا إلى مكتب المدير.. الذي عبس لمرآنا.. لكن سامي قال له أن الأستاذ مالك هو الذي طلب منا الانتظار هناك حتى يعود.

لم تكد تمضي الدقائق الخمس حتى لحق بنا الأستاذ مالك إلى مكتب المدير.. وتبعه زميلنا خالد.. والذي كان ممتقع الوجه.. يُرى عليه أثر الخوف الشديد.

همست إلى سامي :

- إن توتره هذا يدعو إلى الريبة بالفعل.

قال المدير :

- هل توصلت إلى شئ يا مالك؟
- بالتأكيد يا سيدي.

قالها وعلى ثغره ابتسامة واثقة.. ثم نظر إلى الخلف صوب خالد وقال :

- تقدم يا بني.

كان المدير جالساً خلف مكتبه.. فلما رأى خالد.. وقف من مكانه وقال مبهوتاً :

- خالد؟!

قال الأستاذ مالك :

- يبدو أنك تعرفه جيداً يا حضرة المدير.

فقال المدير وقد استعاد حزمه :

- نعم.. طبعاً.
- هل يمكن أن تخبروني لماذا أنا هنا؟

فقال له الأستاذ مالك :

- اصبر قليلاً يا بني.

ثم نظر إلى المدير وقال له :

- هل تسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة؟
- نعم بالطبع.
- متى اكتشفت أن محفظتك قد اختفت؟
- قبل استراحة الغداء بقليل.
- وكانت كما سبق وقلت في درج المكتب.. أليس كذلك؟
- نعم.
- وهل رأيت هذا الفتى – أعني خالد – اليوم؟
- نعم.. لقد كان أتى إلى مكتبي هنا في الحصة الثالثة.
- وماذا كان يريد؟

تنحنح المدير.. فتابع الأستاذ مالك :

- دعنا من هذا السؤال.. هل تركته في المكتب وحده.. أو سهوت عنه ولو لثانيةٍ واحدة؟
- ما الذي تحاول الوصول إليه من كل هذا؟!

- أرجــوك ســيدي المــدير.. أجبنــي عــن ســؤالي فحسب.
- حسناً.. دعنـي أتـذكر.. أظننـي سـهوت عنـه بضـع لحظات.. فقد كنت مشغول بكتابة شئ مهم.

تنهد الأستاذ مالك في ارتياح.. وقال وهو يبتسم :

- أشكرك شكراً جزيلاً يا حضرة المدير.. دعني أخبرك الآن بما توصلت إليه.. لو أنك فكرت قليلاً لوجدت أن محمد لا يمكن أن يكون هو الفاعل.
- ولماذا؟
- لثلاثـة أسـباب يـا سـيدي.. أولاً : أنـه – بشـهادة الجميع – يتمتـع بـأخلاق عاليـة تجعلـه يترفـع عـن فعل هذه الفعلة.

قال المدير وقد بدا أنه لم يقتنع :

- والسبب الثاني؟
- السـبب الثـاني أن والـده ميسـور الحـال.. وهـو لا يفتئ أن يجيب كل رغباتـه.. وبالتـالي ينتفـي عنـه دافع السرقة.

داعب المدير شاربه الكث وقال بعد لحظة من الصمت :

- والسبب الثالث؟
- السبب الثالث وهو الأهم.. أن هذا الفتى – وأشـار إليّ – لم يـأت إلـى مكتبـك اليـوم.. فكيـف يسـرق وهو بعيد عن مكان السرقة؟!
- صحيح.. كيف فاتني ذلك؟!

همس سامي ساخراً :

- لقد فاتك الشئ الكثير!

أردت أن أضحك.. لكن الموقف ما كان ليحتمل.. فأمسكت.

قال المدير :

- لكن إن لم يكن هو من سرق.. من يكون اللص إذاً؟

قال الأستاذ مالك :

- اسمح لي يا سيدي أن أقدم لك سارق محفظة نقودك.. إنه الطالب خالد صلاح.

صاح خالد :

- ماذا؟!!

وقال المدير :

- ماذا تقول يا مالك؟!
- تلك هي الحقيقة يا سيدي.
- لكن.. لماذا؟!

صرخ خالد :

- انه يكذب يا حضرة المدير.. إنه يكذب.

لم يبد أن هذا الكلام أزعج الأستاذ مالك.. وعلى الرغم من ذلك.. صاح المدير في خالد :

- اصمت أنت يا فتى.. تابع كلامك يا مالك.

- دعني أخبرك يا حضرة المدير عما حدث بين الطالبين خالد صلاح ومحمد راغب أول أمس.

وبدأ يقص عليه ما حدث.. ثم بعد أن انتهى من سرد هذه الأحداث.. أردف يقول :

- وقد أدركت من البداية أن الطالب محمد راغب برئ.. وحين نظرت إلى خالد رأيت وجهه ممتقع.. وجسده ينكمش في مقعده.. وعيناه الخضراوتان كانتا تتحركان بريبة في محجريهما.. كأنما فعل شيئاً ويخشى أن يكشفه أحد.. ارتبت فيه من البداية وحين علمت ما دار بينه وبين محمد ازددت يقيناً بأنه الفاعل.. فلديه دافعٌ قوي لفعل مثل هذه الجريمة.. وكان عليّ أن أتأكد أولاً هل أتى إلى مكتبك اليوم أم لا.. وحين تأكدت من ذلك.. وتأكدت أيضاً أنك سهوت عنه لبعض الوقت.. أيقنت حينها تماماً من أنه هو الفاعل.
- ما هذا الخيال الواسع؟!

هتف خالد.. فرمقه الأستاذ مالك بنظرةٍ حادة.. ثم قال له :

- أنت وحدك من يملك دافعاً قوياً لجعل محمد يبدو في نظر الجميع لصاً.. فإن بدا كذلك.. برهنت للجميع أنه هو اللص الحقيقي ولم يعد أحدٌ يمكنه أن يتهمك بالسرقة.. كما أنك كنت في المكان الذي كانت فيه المحفظة قبل أن تُسرق.. وأتيحت لك الفرصة لسرقتها.. ولم يرها أحد بعد أن خرجت أنت من المكتب.. كل هذه الأدلة تشير إلى شئ واحد.. وهو أنك أنت الذي سرقت هذه الحافظة.

همست في أذن سامي قائلاً :

- إن الأستاذ مالك عبقري.. ألا يذكرك بأحد المحققين المخضرمين الموجودين في الروايات البوليسية التي تقرأها؟

تبسم سامي ضاحكاً.. وقال :

- أتظن هذا حقاً؟!

وقال المدير لخالد :

- إذاً كنت أنت السارق! أنت لا تدري كم كنت متعاطفاً معك.. وبعد كل ذلك تأتي وتسرقني.. أنا؟!!

في تلك اللحظة كان خالد يضغط على أسنانه بقوة.. واحمر وجهه غضباً وبرزت عروق رقبته وصرخ قائلاً :

- اخرسوا.. جميعكم اخرسوا.. شخصٌ يُضيع ساعته فيتهمني بسرقتها.. بل ويأخذ ساعتي على أنها ساعته الضائعة!... محفظة نقود المدير تُسرق.. فيمسكوا السارق.. ويخرجوا المحفظة من حقيبته.. وبعد ذلك يأتون بي ليتهموني "أنا" بسرقتها.. ولكي يثبتوا أنني أنا اللص بالفعل.. يبتكرون قصةً خياليةً ساذجة ويجعلوني فيها المتهم الأوحد ذو العقلية الإجرامية التي فاقت الأبالسة والشياطين خبثاً ودهاء.. بالله عليكم.. أليس هذا حرام؟

ثم دفن وجهه بين كفيه وأخذ يبكي بكاءاً حاراً.. وكنا جميعاً واجمين.. لم يتفوه أحدنا بكلمة كأن على رؤوسنا الطير.. فقال خالد وهو لا يزال يبكي :

- لو كان أبي حياً لما سمح لكم بتوجيه هذا الاتهام إليّ.

قالها وانطلق يعدو بأقصى سرعة.. فقال الأستاذ مالك :

- يا إلهي.. لقد أصيب بانهيار عصبي ولا شك.

وكان المدير واقفاً.. فألقى بجسده على الكرسي.. وقال وهو متأثر جداً :

- لقد أتاني خالد هنا اليوم ليخبرني أنه لا يستطيع دفع مصروفات المدرسة.. ولقد أخبرني أن والده منذ أن توفي في حادث تصادم في العام الماضي.. وأن والدته مريضة جداً.. وهو... وهو...

ولم يستطع إمساك دمعة تسللت إلى خده.. بالفعل كان الموقف مؤثراً جداً.. لكني لم أتوقع أبداً أن أري المدير يبكي في يوم من الأيام.. تابع المدير قائلاً :

- وهو لا يكاد يستطيع أن يجد قوت يومه هو ووالدته.

ثم زادت الدموع انهماراً على وجنتيه في صمت.. يا الله.. هذا الجسد الصلب.. وهذه الشخصية الفولاذية.. تخفي بداخلها قلب رقيق.

اغرورقت أعيننا جميعاً بالدموع.. وقال المدير :

- لا شك أنه كان يحتاج هذا المال.. وأنا بصراحة أسامحه على هذه الفعلة.

ثم نهض من مكانه وقال :

- أرجوكم اذهبوا الآن.. أحتاج أن أختلي بنفسي قليلاً.

سأله سامي قائلاً :

- ما هذه اللطخة على بنطالك يا حضرة المدير؟

ونظرنا جميعاً.. فإذا ببقعة صغيرة أسفل الجيب الأيسر لسروال المدير.

أجاب المدير قائلاً :

- هذه؟ حين أتاني محمود بالقهوة – كعادته كل يوم – أوقع القهوة على المكتب عن دون قصد.. وقد اندثر بعضها على البنطال.
- وماذا فعلت حينها؟
- وبخته قليلاً.. فاعتذر بشدة.. وذهبت إلى المرحاض لأزيلها.. وتركته ينظف المكتب.. ولكن يبدو أنها لن تذهب بسهولة.
- ومتى كان ذلك؟
- في نهاية الحصة الرابعة.
- أي بعد انصرافي أنا وزميلي الآخر – ماجد – أليس كذلك؟
- بلى.

وفجأةً هتف سامي :

- وجدتها.

نظرنا إليه جميعاً.. وتملأ أعيننا الدهشة.. في حين قال المدير :

- وجدت ماذا؟!
- الإجابة على السؤال الذي كان يشغلني من البداية.

ثم نظر إلى المدير وقال :

- حضرة المدير.. أريد أن أسألك سؤال وتجيبني عليه بصراحة.. هل يوقع عم محمود القهوة دائماً؟
- بل على العكس تماماً.. لم يوقعها ولا مرة واحدة قبل ذلك.. أظن أنه يعاني اليوم من شئ ما.. فلقد أوقع الأكواب من يده حين كنتما أنت وزميلك ماجد عندي في المكتب.. وأظنكما سمعتما صوت تحطم الأكواب الذي أخرجني مفزوعاً.

في تلك اللحظة.. عاد خالد إلى المكتب.. وكان يبدو أنه قد استعاد رباطة جأشه شيئاً قليلاً.. وقال وهو منكس الرأس :

- آسف على هذا الجنون الذي فعلته يا حضرة المدير.. لقد انهارت أعصابي ولم أستطع أن أتمالك نفسي.

قال المدير في صوتٍ خافت :

- لا بأس يا بني.. اسمع يا خالد.. أنا مستعدٌ أن أسامحك إن أقررت بخطئك.. ووعدتني ألا تسرق من جديد.
- لكني أقسم لك أنني لم أسرق.. أنا لست لصاً.

هتف سامي :

- حضرة المدير.. إن خالد يقول الحقيقة.

هتف جميع الحاضرين في صوتٍ واحدٍ :

- ماذا؟!

ثم سأله المدير :

- إن لم يكن خالد.. ولا محمد.. فمن هو إذاً؟!

وقال الأستاذ مالك :

- كأني بك تتهم....
- أنا لم أقل أي شئ بعد.
- إذاً تفضل.. أخبرنا من هو؟

قالها المدير بنفاذ صبر.. فقال سامي :

- أولاً عليك أن تجمع كل الموجودين في المدرسة من مدرسين وطلاب وعمال.. وتحشدهم في فناء المدرسة.
- ولماذا كل ذلك؟!
- أرجوك افهمني يا حضرة المدير.. لقد اتهمتم صديقي بأنه لص أمام جميع زملائنا في الفصل..

ولا شك أن الخبر انتشر في المدرسة انتشار النار في الهشيم.. وأريد أن أثبت براءته أمام الجميع.

فقال الأستاذ مالك :

- ولكن هذا....

بتر المدير عبارته قائلاً :

- دعه يا مالك.. الفتى معه كل الحق.

ثم أمسك الميكروفون الخاص بالإذاعة المدرسية.. وهتف قائلاً : إلى كل التلاميذ والعاملين في المدرسة.. الرجاء التواجد في فناء المدرسة خلال خمس دقائق.

وكرر هذا النداء مرتين متتاليتين.. ثم أطفأ الميكروفون ووضعه جانباً.. وقال لسامي :

- ها أنا فعلت ما أردته.. هل أنت واثق مما تعلم؟
- تمام الثقة يا سيدي.. تمام الثقة.

***

الحقيقة

في الدقائق القليلة التالية.. حدثت جلبة وضوضاء نتيجة تدافع الطلاب نحو فناء المدرسة.. ولم تمض الدقائق الخمس إلا والجميع كانوا محتشدين في الفناء.

أمسك المدير الميكروفون.. ووقف أمام الجميع قائلاً :

- لقد علمتم أن محفظتي قد سرقت اليوم.. وأننا أمسكنا بالطالب محمد راغب واتهمناه بالسرقة.. وذلك لأننا وجدنا المحفظة في حقيبته.. ولكن ثبت لدينا أنه لم يكن الفاعل.. ويدعي زميلكم الطالب سامي أحمد الجمل أنه يعلم هوية السارق الحقيقي.. ويريد أن يبرئ صديقه أمام الجميع.

بعد أن قال ذلك.. أعطى الميكروفون لسامي فقال هذا الأخير :

- إن ما قاله حضرة المدير صحيح.. لكنه نسي أن يقول أن كل الدلائل التي بحثها الأستاذ مالك بنفسه أشارت إلى شخص آخر غير صديقي محمد.. وهو زميلنا خالد صلاح.. لكن لحسن حظ هذا الأخير أن الحقيقة قد اتضحت في نهاية المطاف.. أتريدون أن تعرفوا من السارق؟ السارق هو آخر شخص كان يمكن أن يكون موضع الشبهات.. أليس كذلك يا عم محمود؟!

اضطرب عم محمود قليلاً.. ثم تمالك نفسه في اللحظة التي صاح فيها المدير :

- ماذا تقول؟! هل أنت مجنون؟!

وهتف عم محمود مصطنعاً الغضب :

- كيف تتهمني اتهام خطير كهذا؟!

فقال سامي وهو يبتسم ابتسامة ثقة :

- اهدأ يا عم محمود.. لا داعي لكل هذا التمثيل.. لقد ظهر الحق وانتهى الأمر.

واندفع فريد من بين الصفوف وعيناه تتأججان كجمرتين ملتهبتين.. وأمسك سامي من تلابيب قميصه بقوة وهو يصيح به :

- كيف تجرؤ على أن تنعت أبي باللص؟!

وكان على وشك تحطيم أنف سامي بقبضته القوية.. لولا أن بعض الطلبة – وأنا واحد منهم – استطاعوا منع سامي منه.. الغريب أن سامي لم يُبد أي قلق وإنما ظل محافظاً على هدوئه وابتسامته الخفيفة.. وقال بذات النبرة الواثقة :

- اصبر قليلاً يا فريد.. سيأتي دورك عما قريب.

ثم رفع رأسه مواجهاً الجميع قائلاً :

- اسمعوني جميعاً من فضلكم.. لا شك أنكم تريدون أن تعلموا كيف حدثت الجريمة.. وكيف اكتشفتها.. وما هي الأدلة التي أمتلكها.. أليس كذلك؟

أومأ الجميع بالإيجاب.. فتابع :

- في البداية.. اقتنعت أن خالد هو من سرق محفظة المدير.. ودسها في حقيبة محمد.. انتقاماً منه على سوء الفهم الذي حدث بينهما أول أمس.. وكانت كل المؤشرات تشير إلى أن خالد هو بالفعل من قام بهذه الجريمة.. ولكن كان هناك سؤال يحيرني : كيف استطاع خالد أن يأخذ المحفظة من درج المكتب.. رغم أنه كان في غرفة مكتب المدير.. إلا أنه لم يقترب من درج المكتب أبداً؟ وحين قال المدير أنه انشغل عن خالد في كتابة شئ ما.. فإنه كان يكتب على ظهر المكتب.. فكيف إذاً سيضع خالد يده في درج المكتب؟! بالتأكيد هو ليس ساحراً أو مشعوذاً! وخلال ما كنت منهمكاً دون جدوى في محاولة معرفة كيف وصل خالد للمحفظة داخل الدرج.. أتى في ذهني سؤالٌ آخر.. ماذا لو لم يكن خالد هو الفاعل حقاً؟ ماذا لو كان بريئاً كما يدعي بالفعل؟ وهو احتمال لا أدري كيف لم أفكر فيه من قبل!

قال الأستاذ مالك :

- آه.. صحيح.. كيف لم نفكر في هذا الاحتمال من قبل؟! صحيح أنه احتمال ضعيف.. لكن من يبحث عن الحقيقة عليه أن يبحث كل الاحتمالات.

قال سامي :

- وحين راودني هذا التساؤل.. كان الأستاذ مالك قد وجه لخالد بالفعل تهمة سرقة المحفظة.. وحينها لم أستطع الدفاع عن خالد.. لأنني لا أملك أي دليل على براءته.
- ثم ماذا؟

كان هذا السؤال قادماً من بين شفتي أحد الطلاب.. الذي يبدو أنه قد شعر بالفضول لمعرفة اللص الحقيقي.. فأجابه سامي :

- حينها اهتاج خالد وفقد أعصابه.. وأخذ يسبنا جميعاً.. دون سيطرة منه على ما يقول.. وقد قال بالفعل كلام كثير.. ومن ضمن ما قاله.. وهو الأهم طبعاً وقد كان يبكي بشدة : "لو أن أبي لا يزال حياً لما سمح لأحد منكم أن يتهمني اتهاماً كهذا.
- وماذا في ذلك؟

نطق بها الأستاذ مالك.. فأجاب سامي :

- الأب هو الشخص الوحيد الذي يكون مستعداً في أي وقت للدفاع عن ابنه.. ثم تذكرت مشهد عم محمود وهو يتوسل للأستاذ رشيد كي يشترك فريد ابنه في بطولة الجمهورية.

ابتسم عم محمود.. وقال ساخراً :

- يا لك من أحمق.. كل ما قلته لا يثبت أي شئ.. أنا أصلاً ليس لي علاقة بخالد أو محمد.. فلماذا أحاول أن أؤذي أحد منهما؟!

وبالفعل كان كلامه منطقياً جداً.. فليس بيني وبينه أي عداوة.. فلِمَ قد يسعى لتوريطي في كل هذا؟!

قال سامي :

- صحيح أن محمد لا يعنيك في أي شئ.. لكنه لم يكن المقصود!

قال المدير :

- وضّح أكثر.
- لقد كنت أنا المقصود يا حضرة المدير.. أليس كذلك يا عم.. محمود؟

وبدأ سامي يحكي عن عرقلة فريد له أثناء اختبار الجري.. وكيف صورته أنا.. وكشفته في آخر لحظة.

نظر إليّ عم محمود وولده نظرة قاسية وقال الوالد :

- كنت أنت السبب في كل ذلك؟!

تابع فريد كلامه إلى أن وصل إلى أن الأستاذ رشيد أعلن إعادة الاختبار بعد غد.

ثم تابع سامي قائلاً :

- وحين علم عم محمود عن فرصة ابنه شبه معدومة في الفوز أمامي.. قرر أن يبعدني تماماً

عن الاختبار.. ووجد أن الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي من خلال فصلي من المدرسة.. سواء أكان الفصل نهائياً أو مؤقتاً.

قال المدير :

- ولكن كلنا يعلم أن المتورط في هذه القضية كان محمد.. لا أنت.
- أرجوك أيها المدير.. دعني أنهي كلامي.

صمت المدير على مضض.. ثم تابع سامي :

- كما كنت أقول.. بينما كان عم محمود يبحث عن طريقة يدفع بها المدير إلى طردي من المدرسة.. لاحظ أن المدير يضع محفظة نقوده في درج المكتب بمجرد أن يأتي إلى المدرسة.. وكانت هذه عادة يومية لديه.. ففكر أن يستخدم هذه العادة في توريطي وجعل المدير يضطر إلى فصلي.
- لكني لم أفعل لك أي شئ؟

هتف بها عم محمود وقد ضاق ذرعاً بسامي.. لكن هذا الأخير تجاهله تماماً وهو يكمل :

- أما عن الطريقة التي سرق بها عم محمود المحفظة من درج المكتب فكانت عبارة عن خطة مكونة من بضع خطوات محكمة..
أولاً.. يحضر عم محمود القهوة إلى المدير كما يفعل دائماً..

ثانياً.. يتظاهر عم محمود بأن يده ارتعشت.. ويوقع القهوة على المكتب.. وبالطبع يحرص عل أن تتناثر بعض قطرات من القهوة على ملابس المدير..
ثالثاً.. يذهب المدير إلى المرحاض ليزيل قطرات القهوة عن ملابسه بالماء..
رابعاً.. يستغل عم محمود الفرصة ويسرق المحفظة في غياب المدير.. ودون أن يراه أحد.

قال المدير :

- على رسلك يا فتى.. فليست هذه قصةً بوليسية.. إننا نعيش في أرض الواقع.

بينما قال الأستاذ مالك :

- يا الله.. لو كان الأمر حقاً كما تقول يا سامي.. إنها إذاً خطة شيطانية.
- لم تنتهي الخطة المرسومة عند هذا الحد.. هناك خطوات أخرى.

هتف المدير :

- خطوات أخرى؟ ما هي؟
- خامساً.. أن يذهب المدير وعم محمود لتفتيش الطلاب.. وبالطبع من سيفتشهم هو عم محمود.. أليس كذلك يا محمد؟!
ثم يبدأ عم محمود بتفتيش الفصول تباعاً إلى أن يأتي إلى فصلنا.. ولا يخرج المحفظة إلا من حقيبتي أنا.. فيرى الجميع أنني السارق.
- مهلاً..مهلاً.

قالها عم محمود :

- ولكن هذا لم يحدث.. لقد أخرجتها من حقيبة محمد وليس من حقيبتك.. كما لو افترضا أنني من سرق الحافظة – وهذا ليس صحيحاً – فكيف وصلت إلى حقيبة صديقك؟!

وفي هذه اللحظة.. نظر سامي إلى الجميع وسأل :

- هل منكم من يستطيع أن يخبرني ما هو الشئ المختلف في عم محمود اليوم؟

فقال الأستاذ رشيد :

- يرتدي سترة غير التي يرتديها في الغالب.. وهذه أول مرة أراه يرتديها في العمل.
- هذا صحيح.. وماذا أيضاً؟

أطلق سامي هذا السؤال.. ولكن هذه المرة بدأ الطلاب والمدرسين يقولون أشياء حمقاء وسخيفة.. مثل :

- هل صبغ شعره؟

وآخر يقول :

- أظن أنه حلق شاربه.

ويرد ثالث :

- انه لم يكن له شارب أصلاً!

والرابع يسأل :

- هل أصبح أصلعاً؟!

إلى أن قال الأستاذ مالك :

- أظن أنني فهمت ما يرمي إليه سامي.. المختلف في عم محمود هو أن السترة التي يرتديها هي سترةً شتوية ذات أكمام طويلة.. رغم ارتفاع الحرارة هذا اليوم.

هتف سامي بحماس :

- تماماً.. هذا بالضبط ما أقصده.. أحسنت حقاً يا أستاذ مالك.

ثم نظر إلى الجميع وأردف :

- قد يتبادر إلى ذهن أي منكم أن فريد قد وضع المحفظة في حقيبة محمد أثناء استراحة الغداء.. لكنهم كانوا في الكافيتريا الملحقة بالمدرسة طوال فترة الغداء.. ويمكنكم أن تتأكدوا من عامل الكافيتريا.. أحمد رفعت.

فتابع سامي :

- لكن الحقيقة.. أن عم محمود نفسه هو الذي وضعها في حقيبة محمد.

سأل المدير في دهشةٍ واستغراب :

- كيف؟! ومتى؟! وممنوع على العمال دخول الفصول أثناء استراحة الغداء.. هذا بالإضافة أنه كان معي

طـوال فتـرة الاسـتراحة حيـث كنـا نبحـث عـن المحفظة.

- لم يكن ذلك أثناء استراحة الغداء.. ولو وضعت في الحقيبة خلال هذا الوقت.. لاكتشفها محمد وهو يخرج كتاب اللغة الإنجليزية من الحقيبة في بداية الحصة الخامسة.
- متى كان ذلك إذاً؟
- في الحصة الخامسة.. أمام أعينك يا حضرة المدير.. أنت والأستاذ مالك.. ومستر خميس.. وكل الطلاب كذلك.

نظر جميع الموجودين في الفناء إلى سامي نظرة دهشة واستنكار.. وقال الأستاذ مالك :

- هذا لا يعقل!

ففسر سامي كلامه قائلاً :

- سيداتي وسادتي.. إليكم الحقيقة كاملة.. من البداية للنهاية.

ثم بدأ يشرح كيف حدثت الجريمة :

- قلت لكم أن عم محمود أراد أن يشترك فريد ابنه في بطولة الجمهورية للجري.. وبما أن فرصتي أكبر بكثير من فرصة فريد في الفوز.. فإن عم محمود أراد أن يمنعني من المنافسة مع ولده نهائياً.. وكان السبيل الوحيد الذي فطن إليه ليفعل ذلك هو عن طريق جعل المدير يفصلني من المدرسة.. فوضع خطةً محكمة.. كانت عبارة على أن يسرق

المحفظة.. ويدسها في حقيبتي ثم يفتش حقائب الجميع.. وبعد ذلك يخرج المحفظة من حقيبتي أنا.. وبهذا تثبت عليّ التهمة.. وأُفصل من المدرسة.. وبالتالي يشترك فريد في بطولة الجمهورية.. لأنه ما من أحدٍ ينافسه بعدي.. ولكي تثبت عليّ التهمة.. يجب أن يتيح لي فرصة التواجد في مكتب المدير وحدي تماماً.. حتى يقول أنني سرقتها في هذا الوقت.. واحتاج لذلك مساعدة شخص آخر.. فاستعان بماجد – صديق فريد المقرب – وكانت الخطة هي أن يتشاجر ماجد معي كي يرسلنا الأستاذ المتواجد معنا في الفصل حينها إلى مكتب المدير كي يعاقبنا.. ثم يوقع عم محمود الأكواب الزجاجية بالقرب من مكتب المدير.. فتتحطم مصدرةً جلبةً كبيرةً جداً.. والهدف منها أن يندفع المدير خارجاً من المكتب ليتبين ما هو صوت هذا التحطم الشديد.. وحينها يندفع ماجد خلفه بحجة أنه أراد أن يرى ما الذي يحدث.. ويتركني وحدي في مكتب المدير بضع لحظات.. وبذلك يتيح لي فرصة وجودي في المكتب وحدي تماماً.. مما يدل على أنني كنت وحدي في مسرح الجريمة قبل اختفاء المحفظة.. لكن حدث شئ قلب موازين الأمور رأساً على عقب.. وهو أن عم محمود حين كان يفتش طلاب الفصل.. كان يفرغ حقائبهم أمامهم في سرعة.. وكأنه يعلم أنهم أبرياء من هذه التهمة.. ثم ما لبث أن فتش ثيابي وأراد أن يفتش حقيبتي.. لكني أسرعت وأفرغت حقيبتي من كل ما فيها بنفسي.. وبالتالي برهنت للجميع أنه لا شئ في

حقيبتي.. وهكذا تكون خطته قد فشلت فشلاً ذريعاً.. لأن خطته لم تقضي بأن يمسك حقيبتي.. ويفرغ محتوياتها أمامي.. وإنما كانت تتضمن أن يمسك الحقيبة.. ويفتش بين محتوياتها ثم يفلت المحفظة الموجودة في الكم الطويل لسترته بداخلها.. وبذلك يمكنه إثبات أنني لص.. لكن حين فضت محتويات حقيبتي بنفسي.. انهارت الخطة.. وكان يجب أن يلصق التهمة في شخصٍ ما قبل أن يستدعي المدير رجال الشرطة.. ويحققوا في الأمر ويكتشفوا أنه السارق الحقيقي.

وسألت سامي :

- ولماذا اختارني أنا بالذات ليلصق بي هذه التهمة؟
- لو فكرت قليلاً يا محمد لوجدت أن فصلنا هو آخر فصلٍ في المدرسة.. وبالتالي آخر فصل فتش المديرٍ فيه عن المحفظة.. وأيضاً مقعدنا هو المقعد قبل الأخير في الفصل.. والموجودان في المقعد الأخير هما ماجد وفريد.. وهما ابنه وصديق ابنه والمشترك معهما أيضاً في هذه الجريمة.. وبالتالي لا يمكن أن يورط أحدهما في هذه القضية.. وباستبعادهما فلم يتبق له غيرك أنت يا محمد.. وإن لم يدس لك المحفظة.. وتُتهم أنت فيها.. فغالباً سيُبلغ المدير الشرطة.. وعاجلاً أو آجلاً.. ستكشف الحقيقة.. وقد يطرد على إثرها عم محمود من عمله.. بل ربما يحدث له ما هو أسوأ.. ويزج به في السجن.. هل وعيتم الآن إلى الحقيقة؟

وانتهى سامي من الحديث.. وبصراحة لا أعلم كيف كان وقع هذه الكلمات على أسماع المدير أو الأستاذ مالك أو بقية المدرسين والطلبة.. لأنني كنت في تلك اللحظة غير مصدقٍ لما قاله صديقي سامي.. وظننت أنه تأثر أكثر من اللازم بالقصص البوليسية التي يقرأها.. وفي نفس الوقت.. كنت أنظر إلى عم محمود الذي بدت عليه أمارات الدهشة.. وكأنه يقول – بلسان الحال – "كيف عرفت؟!".

وغمغم فريد محدثاً نفسه في ضيق :

- كيف علمت ذلك أيها الوغد؟! كيف؟! كيف؟!

سمعته لأنني كنت على مقربةٍ منه.. ولا أظن أن أحداً آخر قد سمعه.

وقال الأستاذ مالك :

- هل هذا ممكن؟!

وسمعت المدير يقول :

- أنا لا أصدق أياً من هذا!

وقال عم محمود معقباً على كلام المدير :

- معك حق يا سيدي.. هذا كلام فارغ.. لا أصل له ولا وزن.. هذا الفتى له خيالٌ خصب.

ثم ذهب ببصره نحو سامي.. وأشار إليه بسبابته مهدداً ومتوعداً وهو يقول :

- إذا كنت تظن أنني سأسكت عن هذا الاتهام.. فأنت مخطئ.. وسترى ما سأفعل.. ثم إن اتهاماً خطيراً كهذا يحتاج إلى دليل واضح.. ولا أظن أنك تملك واحداً.

ابتسم سامي وهو يقول :

- بل لدي دليلٌ بالفعل.. وهو دليل قوي أيضاً.

تغيرت تعابير وجه عم محمود.. وازدرد ريقه وهو يقول في حذر :

- وما هو هذا الدليل؟

قال سامي :

- دعني أوجه غليك بعض الأسئلة.

فقال عم محمود :

- تسألني أنا؟! عن ماذا؟!
- كم يبلغ مصروف ابنك فريد.
- وما شأنك أنت؟
- إن أردت تبرئة نفسك عليك أن تجيبني بكل صراحة.
- خمس جنيهات في اليوم الواحد.
- وهل أعطيته مصروفه اليوم؟
- بالتأكيد.
- أشكرك يا عم محمود.

قالها سامي.. ثم ما لبث أن تابع :

- أطلب شهادة أحمد رفعت.

تقدم طالب في الصف الأول الثانوي وهو يقول :

- شهادتي أنا؟! لكني لا أعلم شيئاً!
- لا أقصدك أنت.. بل أقصد أحمد رفعت آخر.. عامل الكافيتريا.

وتقدم شاب في أواخر العشرينات.. طويل القامة.. نحيل نسبياً.. له شعر أسود طويل ممشط إلى الجانب.. نظر إلى سامي وقال :

- أنا أيضاً لا أعلم أي شئ.
- بل تعلم الكثير.. الكثير جداً.

نظر إليه أحمد بتعجب.. بينما قال سامي :

- هل يمكن أن تخبرنا ما الذي طلبه فريد وماجد من الكافيتريا؟
- نعم بالطبع.. لقد طلب فريد كوباً من النسكافيه.. وطلب ماجد كوباً من عصير البرتقال.
- وهل يمكنك أن تخبرنا ما حساب هذين المشروبين معاً؟
- حسابهما معاً سبع جنيهات.. لكن لماذا تسأل؟ ما دخل كل هذا بموضوع السرقة؟

تجاهل سامي هذا السؤال تماماً.. وأكمل كلامه :

- أخبرنا يا أحمد عن المبلغ الذي أعطاه فريد لك.
- أي مبلغ؟!
- حساب المشروبات.

نظر إليه أحمد نظرة تعجب.. ثم ما لبث أن قال :

- لقد أعطاني فريد ورقة نقدية فئة المائة جنيه.. فككتها وأخذت منها السبع جنيهات التي تخصني.. وأعطيته الباقي.

في تلك اللحظة.. نظر سامي إلى المدير وسأله :

- سيدي المدير.. هل المال كامل في محفظتك؟

أخرج المدير محفظته في سرعة.. وبدأ يحصي ما بها من مال.. وفجأة هتف :

- المال فعلاً ناقص!

فقال سامي :

- ورقة نقدية واحدة فئة المائة جنيه؟
- كيف علمت ذلك؟!

صمت سامي ولم يجب.. فقال المدير :

- هل تقصد...؟

فقال سامي :

- نعم سيدي المدير.. إنها المائة جنيه التي اختفت من المحفظة.

نظر المدير إلى فريد نظرة حادة.. فامتقع وجه الأخير وبهت لونه.. فأسرع عم محمود بالكلام قائلاً :

- لعله ادخرها من مصروفه الخاص.

فقال سامي :

- أنا أرى فريد يومياً في الكافيتريا.. وهذا معناه أنه يبدد ماله هناك.. أليس كذلك يا أحمد؟

قال عامل الكافيتريا :

- هذا صحيح.. إن فريد مولع بالنسكافيه.. ويطلبه دائماً ..وثمنه خمس جنيهات.
- لم يبق أمامك إلا أن تعترف يا عم محمود.

عقد عم محمود يديه أمام صدره.. وأشاح ببصره عن سامي وهو يقول في تكبر :

- أنا لم أفعل شيئاً.

ونظر سامي إلى فريد.. فظهرت عليه أمارات الخوف.. قبل أن يقول في تردد :

- وأنا أيضاً لم أفعل شيئاً.

ونظر إلى ماجد الذي كان منكس الرأس وقال له :

- وأنت يا ماجد؟

اضطرب ماجد.. وشعر بخوف شديد.. وربما تمنى لو تنشق الأرض وتبتلعه.. ثم أخذ يقلب بصره بين فريد وعم محمود وبين سامي والمدير.

فنظر سامي إلى المدير.. وقال في مكرٍ ودهاء :

- هل أنت مستعدٌ يا سيدي بأن تصفح عن ماجد إن هو اعترف بخطئه؟
- أصفح عنه؟ هذا مستحيل.. لكن إن اعترف.. فسوف أخفف عقابه كثيراً.. ولن أفصله من المدرسة.. أما لو أنكر كما فعل فريد ووالده محمود.. فسوف ينال ما ينالاه من عقوبة.. لو ثبتت عليهما التهمة.
- بل سأعترف.

قالها ماجد في يأس.. ثم أردف :

- إن كل ما قاله سامي صحيحٌ تماماً.
- ولماذا ساعدتهما؟

سأله المدير.. فأجاب :

- لأن فريد صديقي المقرب منذ الطفولة.
- ولماذا يريد فريد أن يشترك في مسابقة الجري بكل هذا الشغف؟

فقال ماجد :

- لأن عم محمود يريد أن يفوز فريد بهذه المسابقة.. حتى يربح الجائزة المالية التي تمنح للفائز.. ومقدارها عشرون ألف جنيه.

فنظر المدير إلى عم محمود وقال :

- فعلت هذا من أجل المال إذاً؟

فقال عم محمود :

- أنت لا تعلم عن ظروفي شيئاً.. لقد كنت أنوي استخدام هذا المال في افتتاح متجرٍ صغير يكون مصدر رزق لي ولأبنائي.

فقال الأستاذ رشيد :

- وهل كنت تظن أن الفوز بهذه البطولة أمرٌ هين؟ إن فريد سريع فعلاً.. لكنه بالطبع ليس أسرع طالب في الجمهورية.
- كان لديّ خطة لجعل فريد يفوز.

صاح الأستاذ رشيد :

- أكنت تريد أن تغش؟!

وقال المدير :

- يا لك من حقيرٍ فاسد.. أنت محالٌ للإيقاف لحين النظر في أمرك.. وبالمناسبة.. يمكنك أن تهنئ ابنك الآن.. لأنه مفصول.. أما أنت يا ماجد...

احمر وجه ماجد.. وشخص ببصره نحو الأرض.. فأسرع سامي قائلاً :

- تذكر أنك وعدته بتخفيف العقاب عليه وبألا تفصله.

تنهد المدير وقال :

- حسناً.. سننظر في أمرك فيما بعد.

في تلك اللحظة.. وجدت سامي يفرك جبهته كأنما يفكر في شيء ما بعمق شديد.. فقلت له :

- ما الأمر؟ ماذا بك يا سامي؟
- هناك سؤال يحيرني كثيراً.. لا يمكن لخالد أن....

ثم أمسك عن الكلام فجأة.. واتسعت عيناه عن آخرهما.. وقال بسرعة :

- دعني أرى يدك يا محمد.
- عفوا!.. لماذا؟
- بدون أسئلة.. أرني معصمك الأيسر.

ومددت يدي، فأمعن النظر في الساعة، وفي معصمي أيضاً.. ثم قال وعلى ثغره ابتسامة النصر :

- هذا يفسر كل شئ.

ثم همس في أذني قائلاً :

- هذه الساعة ليست ساعتك.. إنها ساعة خالد.
- ماذا تقول يا سامي؟!
- إنها ساعة خالد.
- لا.. إنها ساعتي.. أنا متأكد.
- لقد التبس عليك الأمر يا محمد.. إنها تشبهها.. لكنها ليست هي.
- ولكن كيف؟

أمسك معصمي وبدأ يشرح لي قائلاً :

- إذا نظرت إلى معصمك.. ستجد أن ساعتك الحقيقية كانت ضيقة بعض الشئ على معصمك.
- لكني لم ألحظ ذلك أبداً.

فقال:

- ربما.. لكنها تركت أثراً على معصمك.. أما هذه الساعة.. فهي متسعة قليلاً عليه.. ولا يمكنها في هذه الحالة ترك مثل هذا الأثر.. كما أن هذه الساعة من نوع لا يمكن أن تتسع أو تضيق.. اللهم إلا بتدخل من خبير في الساعات.

فقلت له وقد بدأت أقتنع :

- إذاً فهذه ساعة خالد؟

ثم عدت وقلت :

- لكنها كانت متسعة على معصمه جداً.

فقال سامي باسماً :

- ولهذا ليس على معصمه علامة من أثرها.

على الفور.. نظرت إلى المدير وقلت له :

- هل تسمح لي بالميكروفون يا سيدي.
- تفضل.

وأعطاني إياه دون أن يدري فيما أريده.. فقلت موجهاً حديثي لكل الحاضرين :

- اسمعوني أرجوكم.. كلكم تعلمون ما حدث بيني وبين زميلي خالد قبل بضعة أيام.. حيث كنت قد اتهمته بسرقة ساعتي.. وأخذت ساعته ظاناً أنها ساعتي.. لكني اكتشفت للتو أنها ملكه.. وليست

ملكي.. ولهذا أريد أن أعترف أمامكم أنني أخطأت في حقه خطأ لا يغتفر.. لذا تفضل يا خالد.. هذه ساعتك.. وأرجو أن تسامحني.

أمسك خالد ساعته وهو غير مصدق لما يحدث.. ثم لم يلبث أن قال بلهفة :

- هل تعني حقاً ما تقول؟
- بالطبع.. فهي من حقك.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على ثغرة.. ثم لم تلبث عيناه أن دمعت في صمت.. وكانت دموع الفرح هذه المرة.

قال المدير :

- علي أن أشهد أنك أبهرتني باعترافك بخطأك يا فتى.. أنت حقاً شاب نبيل الأخلاق.

ابتسمت وقد احمر وجهي خجلاً.. لكن استطرد المدير قائلاً :

- لكنك رغم ذلك يجب أن تعاقب.. حتى تتعلم ألا تلقي التهم على أحد دون بينة.

***

الخاتمة

- حسناً.. عليّ أن أعترف.. لقد أبهرتني يا سامي بذكائك الخارق للعادة.

نطق بها الأستاذ مالك.. فقال المدير :

- الحق يقال.. لقد كنت أظنك مجرد طالب مشاغب لا عقل له.. أما الآن فأراك شخص ذا عقلية فاذة وعبقرية لا مثيل لها.

ثم وضع الأستاذ مالك يده فوق كتف سامي وقال :

- يوماً ما ستكون ذا شأن كبير.. حينها تذكر أن البداية كانت من هذه المدرسة.

ثم أتى خالد وقال :

- لا أدري كيف أشكرك يا سامي.. لقد أثبت براءتي في الوقت الذي كاد فيه اليأس يستبد بي.. أنت بطلٌ حقيقي.

وأثناء انصرافنا من المدرسة.. قال سامي موجها حديثه لي :

- سمعتك تقول أن الروايات البوليسية قد أفقدتني عقلي.

فقلت له :

- أتعلم أمراً.. اقرأ ما شئت من الروايات البوليسية.. وأنا مستعد للموت دفاعاً عن حلمك كما استبسلت أنت ودافعت عني اليوم.. أوتعلم شيئاً آخر.. أظن أنني أراك في المستقبل القريب محققاً خاصاً لا يشق له غبار.
- أتمنى ذلك من كل قلبي يا صديقي العزيز.. أتمنى ذلك.

وبالفعل كان لسامي ما أراد...

لقد صار أسطورة حية بالفعل.. ليس بسبب هذه القضية الصغيرة.. لا.. هذه كانت فقط البداية...

بداية أسطورة التحقيقات...

هولمز العرب...

سيد العباقرة...

سامي الجمل.

تمت بحمد الله

الرواية القادمة : **(جريمة بنكهة التفاح)...**

قال وكيل النيابة : "كلامك ربما يكون منطقياً بعض الشـيء يا سامي، لكن دليلك هذا ضعيف جداً".

"ولكن معي دليـل آخـر.. وهـو دليـل قـاطع يـا راضـي بيـه.. دليل لا يخامره الشك".

"وما هو؟".

"كريمة".

"مستحيل!". قالها (.....) وقد اتسعت عيناه عن آخرهما.

فسأله العقيد : "ولِمَ لا يا أستاذ (.....)؟".

صـمت (.....) بعـد أن احمـر وجهـه، فتـابع سـامي قـائلاً وشبح ابتسامة على ثغره :

"الآن يُكشف المستور"...

لا يوجد الكثير ليقال ...

هنـــاك المـــدير .. و المعلمـــين ..

والعاملين .. والتلاميذ .. وسامي ..

والمعلم...

الرواية القادمة : جريمة بنكهة التفاح